رابعا : أدلة المحرمين من القرآن الكريم ومناقشتها

الدليل الأول

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان ٦].

وقالوا بأن «لهو الحديث» هو الغناء والمعازف.

المناقشة

١- لغةً: كلُّ شيءٍ شغلك عن شيء فقد ألهاك. هذا هو «اللغو» فى اللسان العربى.

وعلى ذلك يدخل فيه الحق والباطل، والحلال والحرام.

٢- «اللهو» فى الآية لم يأت مطلقا، بل جاء بالإضافة إلى «الحديث»؛ فخرج بهذا القيد كل لهو لا يوصف بكونه حديثا، فلا يصح على الإطلاق أن يكون «لهو الحديث» معناه المعازف والآلات الموسيقية، بل الصحيح أن «لهو الحديث» عامٌ فى كل «كلام» يُتَلهى به كالغناء والقصص والأساطير والأشعار، وغير ذلك مما يُتَلهَّى به من «الكلام».

٣- الآية لم تعلق أى حكم على مجرد شراء لهو الحديث، بل علقت الوعيد الشديد والعذاب المهين على شراء لهو الحديث بقصد الإضلال عن سبيل الله والصد عن دينه واتخاذه هزوا.. فأين هذا ممن يشترى لهو الحديث بمعزل عن هذا المقصد ؟!

ومَن ذا الذى يحرم شراء حكاية أو قصة أو ديوان شعر أو شريط أغنية ليتسلى به بقراءته أو سماعه ويروح بها عن نفسه[1]؟!

(١) وبناءً على ذلك، فمن ذا الذى يحرم الغناء الطيب بكلمات رصينة وبليغة وصوت

٤- مِن أمحل المحال أن يكون «لهو الحديث» هو الغناء والمعازف - كما يدعى المحرمون- ثم يقول النبى ﷺ لعائشة رضى الله عنها: «أما كان معكم من لهو؛ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»[1]!

٥- والخلاصة أن الآية لم تذم «مجرد» اشتراء اللهو، وإنما تذم من يشتريه لـ «يُضِلَّ» عن سبيل الله ودينه ويصدَّ عن شريعته ويسخرَ بها ويتخذَها هزوا.

الدليل الثاني

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[القصص ٥٥].

وقالوا بأن الغناء من اللغو فوجب الإعراض عنه.

المناقشة

١- اللغو فى أصل اللغة هو: الكلام الذى لا فائدة منه، فلا ينفعك إذا سمعته، ولا يضرك عدم سماعه.. فهل يصح بعد هذا البيان أن نقول بأن الغناءَ، مطلقَ الغناءِ، لغوٌ ؟!

وليس كل غناءٍ لغوا كما أنه ليس كل كلام لغوا، بل إن مِن الغناء والكلام - من حكايات وقصص وشعر .. إلخ- ما يؤخذ منه الحكمة والأدب والعلم.

ولنفترض جدلا أننا لا نأخذ من الغناء أيا من ذلك، وإنما هو مجرد الاستماع إلى صوت حلو طيب شجى، فهل فى ذلك حرمة أو حتى شبه حرمة ؟!

عذب؛ ترويحا عن النفوس وجلاءً للهموم ؟!

(١) سيأتيك قريبا تخريج هذا الحديث الصحيح.

مَـن نوى بالاسـتماع إلى الغناء – ولو لم يفده ذلـك حكمةً أو علما – ترويح نفسـه ليقوى على طاعة الله عز وجل وينشـط نفسـه، فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق.

ومن لم ينو طاعةً ولا معصية ففعله هذا لغو معفو عنه، وذلك كخروج الإنسـان إلى حديقته متنزها، وقعوده على باب داره متفرجا، وغير ذلك من سائر الأفعال – وجميعها يستحيل أن يحرمها عاقل، فكيف بواهب العقل– ؟!

٢– لغـةً، الجَهْـلُ – «لا نبتغى الجاهلين»– هو : الطيش والسـفه والتعدى بغير حق. وهو أيضا عدم المعرفة.

وهذا المفهوم للجهل لا يتناسب مع ما يدعيه المحرمون بأن اللغو فى الآية هو الكلام الذى لا فائدة منه؛ لأن من يأتى بكلام لا فائدة منه – لا ينفع سامعه ولا يضره تركه– يستحيل أن يُوصَفَ لغةً بـ «الجاهل»؛ لأنه إنما أتى فعلا مباحا، ومن يفعل المباح لا يوصف بالجهل، فضلا عن أن يُطلَق عليه أنه «جاهل».

وبناءً على ذلك فإن اللغو فى الآية – حتى يسـتقيمَ معناها، ويناسبَ آخِرَها أولُها– المقصود به : سـفه القول (من سـبٍ وشتمٍ واستهزاءٍ ونحو ذلك) مِن الكفار، يتعرضون به للمؤمنين.

٣– فمعنى الآية إذن: وإذا سمع عباد الله المؤمنون الباطلَ (مِن سـب وشـتم واستهزاء) من الجاهلين، انصرفوا عن الإتيان بمثله تنزها وترفعا، وقالوا: لنا أعمالنا الحقة (مِن إيمانٍ بالله وعبادةٍ له) لا نحيد عنها، ولكم أعمالكم الباطلة (مِن كفرٍ بالله وشـركٍ به وسـبٍ وشـتمٍ لنا واستهزاءٍ بنا

وبديننا)، ووزرها عليكم، لا نشارككم فى الإتيان بها؛ لأننا لا نريد صحبة الجاهلين الطائشين السفهاء متعدى الحق والصواب إلى الباطل والخطأ.

فاللغو فى الآية هو لغو الكفار المعرضين عن الحق.. وهم المرادون بالجاهلين؛ ذلك أن لغوهم كان لسب المؤمنين وإيذائهم بالقول، والتشويش به على سماع المؤمنين للذكر والقرآن.

ويتأكد لك صحة تفسيرى هذا من خلال قراءتك للسياق الذى وردت فيه الآية [القصص ٤٦– ٥٧]؛ حيث إنه مقابلةٌ بين «صفات عباد الله وحزبه المؤمنين به» و«صفات الكفار عبدة الأوثان وأتباع حزب الشيطان والخسران».

إن هذه الآية الكريمة من نفس باب قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان ٦٣]. وجميع ذلك يذكرنى بقول الإمام الشافعى:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
فإن كلمتَه فرجتَ عنه ... وإن خليتَه كمدا يموت

الدليل الثالث

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ [الفرقان ٧٢]. وقالوا بأن «الزور» هو الغناء والموسيقى.

المناقشة

١– لغةً، الزورُ هو : كل ما خالف الحق.

فحصرُهُ فى «الغناء» قول مخالفٌ للسان العربى.

٢- فمعنى الآية - التى جاءت فى سياق ذكر صفات المؤمنين كما أوضحنا قبل سطور فى نهاية مناقشتنا للدليل الثانى - : والذين لا يحضرون كل ما خالف الحق من باطل وبهتان وزور وإثم، وإذا مروا - مصادفةً- باللئام - فى مجال اللغو والزور والكلام الباطل الذى يصادم الحق- فإنهم لا يلتفتون إليهم، بله أن يشاركوا معهم.

الدليل الرابع

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء ٦٤].

وقالوا بأن «صوتك» فى الآية هو الغناء والمعازف.

المناقشة

١- إن الله تعالى يقول لإبليس : واستفزز من بنى آدم من استطعت - أن تستفزه وتستنهضه للانضمام إليك- بصوتك .. فلم يخص الله من ذلك صوتا دون صوت؛ فصوتُهُ هو كلُّ داعٍ يدعو إلى معصية الله ومخالفة شريعته ودينه.

فالصوت هنا (بذاته) ليس موضع الذم، وإنما ذمُّه واستقباحُهُ لكونه يُستخدم فى الدعوة إلى الشيطان وحزبه.

فالأصوات - ولا ريب فى أن منها الغناء والمعازف- لا ينالها الذم إلا أن تكون وسيلةً شيطانية تُستخدم فى الدعوة إلى معصية الله والفسوق عن أمره ونهجه.

أمـا إذا اسـتُخدِمت فى غـير ذلك فإن الآية لم تتعـرض لذلك على الإطلاق لا باللفظ ولا بالفحوى.

وتأمـل معى – فضلا عن ذلـك – بقية الآية «وأجلب عليهم بخيلك ورجلـك»؛ فهَهُنا لا وجه مطلقا لتعليق الذم بالخيل أو بالأرجل؛ فالذم هنا إنما هو معلقٌ باستخدام الخيل والأرجل فى معصية الله. ومثل ذلك يقال فى «الأصوات» بلا شك ولا فرق.

٢– فمعنى الآية : واسـتفزز من بنى آدم من اسـتطعت، واخدعهم بوسوسـتك وصوتك الشـرير – سـواءٌ كان هذا الصوتُ من جنودك من الأبالسـة أمثالك، أو من جنودك من شياطين الإنس– وبكل ما تستطيع من قوة وإغراء ووسائل شيطانية.

فالمقصود هنا أن يقال لإبليس : اشـحذ كل أسـلحتك لإضلال بنى آدم، واجمع عليهم ما تقدر عليه من كيدك وجندك، ولكنْ اعلم بأنك لن تستطيع أن تضل المخلصين منهم أبدا.

الدليل الخامس

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [النجم ٥٩– ٦١].

وقالوا بأن «السـمود» هو الغناء؛ وهو محرم لأن الله عاب على الكفار الغناء فى هذه الآية.

المناقشة

١– لغةً، «سَمَدَ»: غفل وسـها، أو لها ولعب، أو رفع رأسه ونصب صدره. إذن فالسمود يفيد إما الغفلة أو اللهو أو التكبر.

وهذه الصفات الثلاثة يصح أن يوصف بها الكفار؛ فهم بين غافل عن تدبر القرآن، ولاهٍ عن سماعه، ومتكبرٍ عليه.

أما تخصيص «السمود» بالغناء وقصره عليه، فهذا مِن أفحش الخطأ؛ فما الغناء إلا «وسيلة» مِن وسائل الكفار التى يستخدمونها فى التشويش على من يسمع القرآن، وفى شغل الناس وصدهم عنه[1]؛ يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[فصلت٢٦].

٢- لنفترض جدلا أن المقصود حصرا هو الغناء، فكان ماذا ؟!

إن الآية إنما تنعى على الكفار أنهم كانوا إذا دُعُوا إلى القرآن أعرضوا عنه بلهوهم ولعبهم؛ فإنهم كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا .. فأين هذا من استماع «المسلم» للغناء والموسيقى ترويحا عن النفس وترفيها وتجديدا للنشاط ؟!

٣- إن معنى الآية : يا أيها الكفار، أفمن هذا القرآن تعجبون إنكارا وتكذيبا، وتضحكون سخرية واستهزاءً، ولا تبكون خشيةً من الله وخوفا من عذابه، وأنتم عن القرآن متكبرون وغافلون ولاهون ولاعبون ومشتغلون بأشياء أخرى (حيث إن الكفار – كما سبق التوضيح– كانوا إذا سمعوا القرآن يُتلى : تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا).

٤- إذا كان الغناء محرما بنص الآية – كما هو منطق المحرمين– فإنه يجب عليهم أن يحرموا «الضحك» و«عدم البكاء»؛ لأن الآية تشتمل

(١) ولذلك قال ابن عباس (رض) فى معنى سامدون : «هو الغناء؛ كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا. وهى بلغة أهل اليمن؛ يقول اليمانى إذا تغنى: اسمد». أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (٢/ ٢٥٥) والطبرى فى تفسيره (٢٧/ ٨٢) بإسنادين أحدهما صحيح والآخَر حسن.

عليه «تضحكون ولا تبكون»!

فإن قالوا بأن هذا مخصوص بالضحك على المسلمين، وأن المقصود به هو الاستهزاء بالقرآن والاستخفاف به.

قلتُ : فما كان «ضحكهم» ضحكا «مجردا»، ولا كان «غناؤهم» غناءً «مجردا»، وإنما المقصود بضحكهم وغنائهم هو الاستهزاءُ بالإسلام والصدُّ عنه وعن القرآن، حيث يضحكون على القرآن ويستهزئون به ويغنون ويلهون ويلعبون عنده[1]!

الدليل السادس

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[الأنفال ٣٥].

وقالوا بأن الله عاب على المشركين المكاء والتصدية – وهما الصفير والتصفيق– وذمهم على ذلك، ولو كان جائزا ما ذمهم عليه.. والغناء والموسيقى أشد فى أصواتها من الصفير والتصفيق، فهما أولى بالتحريم والذم.

المناقشة

١– إن الله تعالى لم يعب أو يذم الصفير والتصفيق لذاتهما، وإنما عاب على المشركين أن جعلوهما صفةً لصلاتهم عند المسجد الحرام. فلقد ذم الله تعالى «تعبدهم» – «صلاتهم» [الأنفال ٣٥] – بالتصفير والتصفيق كما هو واضح فى نص الآية.

(١) فإنما كان لضحكهم وغنائهم «قصدٌ جنائى» بالتعبير القانونى المعاصر !

إن الصلاة خشوع وخضوع وعبادةٌ لله تعالى واستحضار لعظمته وجلاله. ولكن كفـار قريش ما كانت صلاتهم إلا تصفيرا وتصفيقا .. فكيف يتفق هـذا «اللهو واللعب» مع مقام «العبادة» لله و«الخشـوع» و«الخضوع» له سبحانه ؟!

إن الله سبحانه إنما ينعى عليهم عدم قيامهم بالعبادة الحقة والصلاة المطلوبة.

فمعنـى الآية : لمَّا كانت صلاتكم مـن قبيل اللهو واللعب؛ فذوقوا العذاب الأليم المعد لكم بسـبب كفركم وشرككم وابتداعكم فى العبادة وعدم خضوعكم لأمر الله.

٢- إن للتصفير والتصفيق مقاصد أربعة : التنبيه .. واللهو والإطراب.. والتقدير والاستحسان والإعجاب .. والتعبد.

وما ذم الله شيئا مِن هذه المقاصد إلا المقصد الأخير - كما شرحنا فى النقطة السابقة- .